لدواعي الاستطراد الذي يكون دائما مرتبطاً بالعي والحيوانية. ويورد وصية ضرار بن عمرو الضبي لابنته حيث يقول لها: يا بنية امسكي عليك الفضلين، قالت وما الفضلان...؟ قال: فضل الغلمة وفضل الكلام. ومع أن الجاحظ يستحسن اللثغة في الحسناء، ويطري واصل بن عطاء على فحولته التي كسرت نواقض الرجولة في الراء الملثوغة، إلا أنه لا ينسى خطورة هذا العيب وتهديده للفحولة، ولذا يروي حكاية أبي رمادة الذي طلق امرأته حين وجدها لثغاء، لأنه خاف أن تجيئه بولد ألثغ.

وتحضر المرأة عند الجاحظ في كتاب الفحولة والفحول، البيان والتبيين، لتجاور الحيوان وتماثله في العي والحمق، إنها تجيء لتسمع ما يرويه أبو الحسن من أن امرأة سألت زوجها: مالك إذا خرجت لأصحابك تطلقت وتحدثت، وإذا كنت عندي تعقدت وأطرقت...؟ فيجيبها قائلاً: لأني أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلي[51].

إن اللسان آلة الفصاحة، وإن حصلت عليه المرأة كهدية من الرجل فإن شروط استخدام هذه الآلة لا تتوفر فيها، لذا جرى استرداده منها ليكون تحت إمرة الرجل وليكون حصاناً أو حصناً يدفن الرجل عقله تحته. وكما في المثل (عقل المرء مدفون في لسانه). أما من لا عقل لها فليس من حقها أن تحتفظ بآلة لا تستفيد منها، بينما هناك من هو بحاجة إلى هذه الآلة.

4 - 3 من الصفات الممنوحة للمرأة هي أنها (الجنس اللطيف) وما إن يمنحها الرجل هذه الصفة حتى يهب من جهة أخرى لسلبها منها، فالعقاد ـ مثلا ـ يبادر إلى إفساد صفة (الشفقة والحنين) المنسوبة للمرأة،

(51) انظر دراسة ميجان الرويلي عن (الحيوان بين المرأة والبيان ـ قراءة في كتاب البيان والتبيين) مجلة (فصول) المجلد الثاني عشر، العدد الثالث، خريف 1993، ص 79-107.